دراسة نقدية لبعض الروايات التاريخية التي أوردها المستشرق ويليام مونتغمري وات في كتابه مختصر تاريخ الإسلام

Dr. Malik Abdulkerim-د. مالك عبد الكريم مزهر

Oryantalist William Montgomery Wat'in "İslam'ın Kısa Tarihi" adlı kitabındaki bazı tarihi analizlerin eleştirel çalışması

Özet:

Oryantalist William Montgomery Wat'in yazmış olduğu "İslam'ın Kısa Tarihi" adındaki kitap batılılara İslam'ın pozitif yönlerini belirlemek istemiştir. Ancak, ne yazık ki kitabın sergilediği bilgilerin çoğunun doğruluğu bir yana hiç bir bilimsel gerçeğe de dayanmamıştır. Buna karşın Müslüman tarihçiler tarafından bugüne kadar ciddi bir eleştiriye de tabi tutulmamıştır. Bu yazının amacı, Watt'ın kitabında gerçeğe dayalı olmayan bilgileri ortaya koymak ve kitaptaki değerlendirmeleri detaylıca inceleyip doğru olup olmadığını tespit etmektir. Bilindiği üzere Watt'ın kitabının batıda çok meşhurdur. Bu nedenle İslam, İslam tarihi ve Hz. Muhammed hakkında içerdiği bilgiler çok iyi bilinmeli ve tartışılmalıdır.

Şüphesiz oryantalistler Müslümanların tarihi, uygarlığı ve akideleri hakkında yazmayı önemsediler. Ne var ki yazdıklarının tamamının doğru olduğunu söylemek hakikaten çok zordur.

Oryantalistlerin çoğunluğunun hedefi İslam'ı karalamak, tahrif etmek, yaralamak ve tarihi olayları saptırmaktır. Bunların pek azı adil bilimsel araştırma kurallarına bağlı kalmışlardır. Müslümanlara ve tarihlerine adil davranarak olayları adalet ve ölçü mizanıyla tartmışlardır.

Anahtar kelimeler: Montgomery Wat, Oryantalizm, oryantalist, İslam Tarihi, Hz. Muhammed'in Biyografisi.

Abstract

The purpose of this research is to uncover the historical information presented by orientalist William Montgomery Watt in his book "A Short History of Islam", which aims to present his own understanding and the conclusion of his experience in the study of Islam and its history and beliefs as a Western reader. This study is based on some of the precuatıons of this Orientalist regarding the biography of the Prophet Muhammad (peace and blessings of Allah be upon him), showing them and criticizing them in case. Mia and respond to them on the statement of validity of falsity.

Here, it should be emphasized that, it is too hard to recognize the validity of what Orientalists have written, especially those who have been interested in writing about the history of the Muslims, their culture and their faith, as the most common orientalists

were their aim was to distort, slander the Misrepresentation of historical facts and events. The few who are committed to the rules of equitable scientific research, and these have been fair Muslims and their history, and weighed the events and facts balance justice and equity.

Key words: Montgomery Wat, Orientalism, Orientalists, History of Islam, Biography of the Prophet.

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن حقيقة المعلومات التاريخية التي يقدمها المستشرق وليام مونتغمري وات في كتابه مختصر تاريخ الإسلام، والذي هدف من كتابته تقديم فهمه الخاص وخلاصة تجربته في دراسة الإسلام وتاريخه ومعتقداته إلى القاريء الغربي، كما تهدف هذه الدراسة إلى استجلاء حقيقة كتاباته المتعلقة بالسيرة النبوية الشريفة، ذلك لأنها قد لاقت شهرة ورواجاً واسعاً في الأوساط الأكاديمية والعلمية الغربية منها والعربية على حد سواء، وتقوم هذه الدراسة النقدية على بيان بعض من مواقف هذا المستشرق المتعلقة بسيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وإظهارها ثم نقدها نقدا علميا والرد عليها وبيان صحتها من زيفها.

وهنا كان لابد من التأكيد على أنه من الصعب جدا أن نسلم بصحة ما جاء به المستشرقون من كتابات، لاسيما الذين اهتموا بالكتابة عن تاريخ المسلمين وحضارتهم وعقيدتهم، حيث أن الغالب الأعم من المستشرقين كان هدفهم التشويه أو التحريف أو الطعن أو التضليل للحقائق والأحداث التاريخية، أما القلة القليلة فهي التي التزمت قواعد البحث العلمي المنصف، وهؤلاء قد أنصفوا المسلمين وتاريخهم، ووزنوا الأحداث والوقائع بميزان العدل والإنصاف.

الكلمات الدالة: مونتغمري وات، الإستشراق، المستشرقون، تاريخ الإسلام، السيرة النبوية.

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، والصلاةُ والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أرسلهُ ربهُ بالهدى ودين الحق ليظهرهُ على الدين كله ولوكره المشركون، ثم أما بعد :

فإن دراسة التاريخ الإسلامي والاهتمام به أمر حتمي وواجب ضروري، والتخلي عنه أو حتى تجاهله أمر خطير، لأن تاريخ الأمة الإسلامية ليس كباقي تاريخ الأمم والشعوب الأخرى، وإنما هو تاريخ مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة الإسلامية، ولا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض، فقد ورد في أكثر من موضع من القرآن الكريم إشارات تحث على دراسة سير الأمم الماضية والتأمل فيها وأخذ العبرة والعظة منها كقوله سبحانه تعالى ((قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِين))[1]، وقوله سبحانه وتعالى ((فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ))[2]، لذا فإن التخلي عن دراسة التاريخ هو تخلي عن جزء من عقيدتنا الإسلامية.

1 (القرآن الكريم، آل عمران: 137).

2 (الأعراف: 671).

تأصيل تاريخي لفكرة الاستشراق:

لم تكن محاولات الغرب للتعرف على الإسلام جديدة، وإنما هي متأصلة منذ قرون، فالتاريخ يزخر بها في كل محور وكل حدث حيث بدأت منذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك من خلال الوفود التي بعثها عليه الصلاة والسلام إلى ملوك كسرى وقيصر، كما كان في وفد الحبشة الذي فتح للأحباش آفاقاً جديدة للتعرف على الإسلام، بدأها النجاشي من خلال حواره مع رئيس الوفد جعفر بن أبي طالب[3]، وبقي هذا الاتصال للتعرف على الإسلام ودراسته قائماً في الغرب، وما الدراسات الاستشراقية في مجال الدراسات الإسلامية إلا امتداداً لهذا الاتصال، خصوصاً بعد حروب الفرنجة (الحروب الصليبية) (490 - 690 هـ _ 1095- 2096م)، والتي حاولت القضاء على الإسلام والمسلمين، ورغم تعددها ونجاحها الجزئي في بعض المعارك، واحتلالها أجزاء من بلاد الشام، إلا أنها فشلت في نهاية الأمر، وقام المسلمون بدحرها والانتصار عليها، فعندئذ أدرك أعداء الإسلام أن القوة العسكرية ما كان لها أن تزعزع إيمان المؤمنين وتنتصر عليهم، عند ذلك أدركوا مدى قوة العقيدة الإسلامية في نفوس أصحابها، ومدى قوة تأثيرها على الإنسان في شتى بقاع الأرض مهما اختلف جنسه وعرقه، فهي تخاطب الجميع بلسان ثابت واضح لا يفرق بين أحد وآخر، ولا يعطي لعرق ميزة على عرق، لذا تعالت الدعوات المتعددة من أجل إيجاد وسيلة أخرى يتم بها وقف الزحف الإسلامي من جهة، والأهم إيقاف تغلغله الفكري وتأثيره عليهم، وهذا ما نادى به لويس التاسع[4] قائد الحملة الصليبية السابعة على مصر (دمياط)، وكان يقول : «إن التغلب على المسلمين بقوة السلاح وحده أمر غير ممكن، وإن على أوروبا إذا أرادت التغلب على المسلمين أن تحاربهم من داخل أنفسهم، وأن تقتلع العقيدة من قلوبهم، فهذا هو الطريق »[5]، كما رأى بطرس المبجل[6] أن نقطة البداية في حرب الإسلام هي القرآن الكريم، فعمد إلى ترجمته بمساعدة مستشرقين آخرين.

3 علي بن إبراهيم النملة، بحث في كنه الاستشراق : مناقشات في التعريف والنشأة والدوافع، دراسات إستشراقية وحضارية، تأليف : مجموعة من العلماء، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية الدعوة، مطابع جامعة الإمام محمد،ع1، المدينة المنورة، 3141- 3991م، ص23-33.

4 لويس التاسع : ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية السابعة على مدينة دمياط في مصر، وذلك عام 9421م، حيث كان يمتاز بالحقد الشديد على الإسلام ، وهدف من هذه الحملة توسيع النفوذ الفرنسي، ولكن انتهت هذه الحملة بهزيمته وأسره في مدينة المنصورة في سجن في دار بن لقمان. ينظر : على عبد الحليم محمود ، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ط1، مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية، مصر، 4141 – 3991م، ص391وما بعدها.

5 عبد العظيم إبراهيم المطعي، أوروبا في مواجهة الإسلام (الوسائل _ الأهداف)، ط1، القاهرة ، 3141_3991م، ص811.

6 بطرس المبجل : راهب لاهوتي فرنسي، ولد حوالي 2901م، نُشِّئَ في دير قريب من سوكسيلانج تابع لدير كلوني، ثم صار عام 0211م رئيساً لدير دومين، ثم رئيساً لدير كلوني عام 2211م، رعى أول ترجمة للقرآن إلى اللاتينية، حيث تم ترجمته سنة 3411م، توفي عام 6511م، أنظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت _ لبنان، 3991م، ص011.

الإستشراق في العصر الحديث:

كما أدرك الأولون أن تاريخنا يرتبط بعقيدتنا الإسلامية إرتباطاً وثيقاً، فقد اهتم به أعداء-الإسلام وأوْلُوْهُ جهدهم وطاقاتهم، وعكفوا على دراسته بكل وسيلة وغاية، لأنهم أدركوا أنهم إذا ما استطاعوا تحريفه وتشويهه وطمس حقائقه، فإن ذلك سوف يؤدي إلى إحداث إنفصام في شخصية الإنسان المسلم، كما ويساهم في نقل صورة سيئة تساعد على تنفير أبناء جلدتهم من الإسلام، ومن أجل ذلك عكفوا على دراسته، فظهرت الدراسات الاستشراقية التي احتلت حيزاً واسعاً في مجال الدراسات الإسلامية، وأصبح لا تكاد تخلو جامعة من الجامعات العريقة في الدول الغربية، إلا ولها قسمٌ خاصٌ للدراسات العربية والإسلامية، يُعنى بدراسة الإسلام عقيدةً وتاريخاً وحضارةً دراسة وافية مستفيضة.

وعلى ذلك فقد كرّس الغرب عدداً من المفكرين والباحثين، ودعمهم بشتى المنح لحثهم على العكوف على دراسة دين لا يؤمنون به، ولا يعرفون لغته، ولا يدركون إعجازه البياني والبلاغي، لذا فمن الواضح أنهم لا يريدون من ذلك معرفة الحق من الباطل، وإنما من أجل معرفة سر قوته وعظمته، ومعرفة مكامن الضعف فيه، والتي من خلالها يمكن النفاذ إليه، إلا أنه وبالرغم من ذلك، فقد ظهرت طائفة منهم قد أنصفت الإسلام والمسلمين، وكان باعثها على ذلك باعث علمي نزيه، حتى أن منهم من أعتنق الإسلام وآمن برسالة الله التي يعتنقها الغالبية من أهل الشرق، أمثال الفنان دينيه[7]، وإبراهيم خليل فيلوبوس[8] وغيرهما.

وإذا كان عدد الباحثين المسلمين الذين يتصدون لما يعرضه المستشرقون قليلا فقد صدق

فيهم قول الشاعر، وقد كانوا إذا عدوا قليلا... فقد صاروا أقل من القليل[9]، مما أحدث فجوة كبيرة آتت أكلها المشوة للإسلام وتاريخه ليس في بلاد الغرب فقط، وإنما أصبح تأثيرها السلبي يغزوا أبناء المسلمين في عقر دارهم.

ومن أجل ذلك، ورغبة مني في سد ولو جزء بسيط من تلك الفجوة، ولألوذ بما أستطيع عن حياض ذلك التاريخ المشرف، ورغبة في التصدي للكتابات الاستشراقية في مجال الدراسات الإسلامية فقد رأيت أن أكتب نقدا لبعض ادعاءات المستشرق البريطاني ويليام مونتغمري وات (1327 هـ/1909 _ 1427هـ/2006م) التاريخية في كتابة مختصر تاريخ الإسلام والرد عليها.

7 دينيه : مستشرق تعلم في فرنسا، وقصد الجزائر ، فكان يقضي في بلدة بوسعادة نصف السنة من كل عام وابتنى بها قبراً، وأشهر إسلامه وتسمى بناصر الدين (7291م)، من آثاره : أشعة خاصة بنور الإسلام، وكذلك الحج إلى بيت الله الحرام، توفي عام 9291م، أنظر نجيب العقيقي، المستشرقون، ط3، القاهرة _ مصر، 4691م، ج1، ص 532.

8 إبراهيم خليل فيلوبوس : ولد في الإسكندرية عام 9191م، دخل كلية اللاهوت سنة 4991م، وتخرج عام 8491م، وحصل على الماجستير من جامعة برنستون الأمريكية، درس الإسلام من أجل زعزعة إيمان المسلمين به، ثم هداه الله إليه، وتسمى بإسم الحاج إبراهيم خليل أحمد، من آثاره : المسيح إنسان لا إله، محمد في التوراة والإنجيل والقرآن. أنظر : أبو خليل شوقي، أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، ط2 ، طرابلس _ ليبيا، 8241 _ 9991م، ص27 وما بعدها.

9 إبن عبد ربه، شهاب الدين أبو عمر، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 4041ه، ج2، ص601.

إن الهدف الذي سعى إليه وات من كتابة هذا الكتاب، هو تزويد القارئ الغربي بفهم إيجابي عن الإسلام وأصله وتاريخه ومعتقداته، كما أنه يأمل في أن يكون فيه شيء ولو قليل القيمة للقاريء المسلم، واعتمد فيه وات على الاعتقاد بأن محمداً صلى الله عليه وسلم كان رسول اُختير من الله لمهمة محددة، وأن الله هو خلف انتشار الإسلام على طول العالم، وفي نفس الوقت أن هذا الكتاب يقبل المباديء الأساسية في النظرة الفكرية الغربية، بما فيها انتقاداتها التاريخية[10] .

بهذا الهدف قدم وات كتابه، الذي قسمه إلى ستة فصول، فكان الفصل الأول عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة والمدينة، وكتب في هذا الفصل حديثاً عن مكة والجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام، واعتبره حديثاً مهماً لمن أراد أن يفهم التاريخ المبكر لديانة الإسلام.

وأما الفصل الثاني فكان تحت عنوان التاريخ السياسي للعالم الإسلامي، ابتدأ فيه وات منذ اللحظة التي جعل فيها الرسول صلى الله عليه وسلم أبا بكر إماماً للمصلين عندما لم يقوى على ذلك، وأما الفصل الثالث فخصصه عن القرآن الكريم من حيث تاريخ جمعه وتدوينه في الصحف في خلافة عثمان رضي الله عنه، كما فيه مباحث تتعلق بالديانات الأخرى وأركان الإسلام. وكان الكلام في الفصل الرابع عن الفقه الإسلامي والمراحل التي مر بها منذ نشأته حتى صار علماً مستقلاً بذاته، كما وتحدث عن بعض المسائل الفقهية كالزواج والربا وغيرها، وجعل الفصل الخامس عن الطوائف المبكرة التي ظهرت في صدر الإسلام كالخوارج والشيعة وطوائفها المتعددة، كما كان فيه مبحثاً عن التأثير الفكري للإسلام على أوروبا الغربية، وأما الفصل السادس فكان تحت عنوان التحدي للعالم الحديث، وكتب فيه مبحثاً عن المشاكل التي تواجه الإسلام هذا اليوم، ذكر منها، التناقض بين قول المسلمين أن الله خلق العالم في ستة أيام، وبين التأكيد العلمي القائل بأنه كان هناك عملية طويلة من النشوء والتكوين للحياة، وقال أن بعض المسلمين جادلوا بأن العلماء لا يوافقوا أصلاً على النشأة، وأنها في نظرهم غير مقبولة، وقد علق وات على قول المسلمين بقوله : أنه كلام خاطيء، وعلل ذلك بأن الذي لم يوافق عليه العلماء هو طبيعة العوامل المسببة لعملية النشأة، ولا يوجد عالم ينكر أنه كان هناك عملية طويله من النشأة تمتد إلى ملايين السنين، ثم ختم وات هذا المبحث بقوله : أن الإسلام يجب عليه إذا أراد أن يأخذ مكانه الصحيح في الأديان العالمية المتعددة، فمن المهم على المسلمين أن يعترفوا على أن هناك على الأقل، مقداراً كبيراً من الحقيقة في الأديان الأخرى[11]، وهذا الكلام يدل دلالة واضحة صارخة على أنه لم يتبحر في فهم الإسلام ولا تاريخه ونكتفي هنا بالرد على القول الأخير بأن من صلب عقيدة المسلمين أن يعترفوا بالديانات السماوية كلها، لإن مصدرها واحد وهو الله سبحانه وتعالى، بل إن الاعتراف بها ركن من أركان الإيمان عندهم، ولا يكتمل الإيمان بالله إلا بالاعتراف بها جميعاً، لقوله تعإلى (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ

10 Watt, william montgomery, A short history of Islam, oneworld Publications, 1996, p.n: 7
11 Watt, william montgomery, A short history of Islam, p.n.140-141.

وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِير)[12]. وهذا ما يراه هنري دي كاستري الذي يقول «أن دين الأنبياء كله واحدا، فهم متحدون في المذهب منذ آدم إلي محمد، وقد نزلت ثلاث كتب سماوية، وهي الزبور والتوراة والقرآن، والقرآن بالنسبة إلي التوراة كالتوراة بالنسبة إلي الزبور، وأن محمداً بالنظر إلي عيسى كعيسى بالنظر إلي موسى، لا فرق بين نبي ونبي، فرسالتهم واحدة ومصدرها واحد وهو الله»[13].

مواقف وات:

أولاً: موقفه من التحنث والوحي الإلهي:

قبل ذلك لابد أن نذكر أن أحداث السيرة النبوية الشريفة ووقائعها، ليست مجرد أحداث عابرة حدثت وانقضت، كما أنها ليست وقائع مجردة من أهداف وغايات، بل هي وقائع «تمتد جذورها إلى عالم الغيب، وترتبط أسبابها بالسماء ويكون الوحي همزة وصل مباشرة بين الله سبحانه وتعالى وبين رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ... ولا يمكن بحال من الأحوال أن تعامل [وقائع السيرة النبوية] كما تعامل الجزيئات والذرات والعناصر في مختبر الكيمياء... »[14]، وذلك لأنها ترتكز على مرتكزات ودعائم أساسية، لا يمكن الاستغناء عنها بحال من الأحوال، فالمصدر الغيبي هو ركيزة من الركائز التي تقوم عليها أحداث السيرة النبوية، فالذي لا يؤمن بالغيب، لا يمكنه تفسير أحداثها تفسيراً صحيحاً، كما لا يمكنه فهمها فهماً دقيقاً بدون هذا المرتكز، بل «إذا جاءه خبر من أخبار السيرة، تراه إما ينكره بالكلية أو يتعسف في تأويله ليخرجه عن دلالته المقصودة»[15]، وهذا الذي وقع فيه غالبية المستشرقين، الذين بحثوا في أحداث السيرة ووقائعها، حيث أهملوا المصدر الغيبي واعتمدوا على العقل، بل وجعلوه المصدر الأساسي في بحوثهم ودراساتهم، مما أدى إلى تشويهٍ وتحريفٍ في كثير من وقائع السيرة النبوية وأحداثها وأخبارها .

ثم إن الاعتماد على منهج علمي صحيح في دراسة أحداث السيرة النبوية، وعدم اعطاء الحكم أو الرأي فيها على أنه هو حوادث السيرة ووقائعها، سوف يؤدي إلى فهم صحيح ودقيق لها، لأن المؤرخ المنصف هو الذي يذكر الحوادث والوقائع التاريخية، سواء المتعلقة بالسيرة أو بالتاريخ الإسلامي، كما حصلت دون زيادة أو نقصان، ثم بعد ذلك يُعطي رأيه أو حكمه فيها منفصلاً عنها، أما إذا أعطى رأيه على أنه هو حوادث السيرة أو التاريخ، فهذا تلبيس وتضليل للقارئ يتعارض مع طريقة

12 (سورة البقرة، آية 582).

13 كاستري، هنري دي، الاسلام خواطر وسوانح، ترجمة احمد زغلول، قدم له: محمود النجيري، ط١، دار طيبة، الجيزة، 8002م، ص15.

14 مجموعة من المؤلفين : مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، بحث لعماد الدين خليل، بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتغمري وات، مطبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط1، الرياض ،5041-5891م ،ص741.

15 محمد بن صايل الشلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي مع دراسة لتطور التدوين ومناهج المؤرخين حتى القرن 31هجري، ط2، دار الرسالة العلمية، مكة المكرمة ،8141-8991م، ص722.

البحث العلمي الصحيح، كما ويتعارض مع قواعد العدل في الحكم على الأحداث. لذا لا يمكن بحال من الأحوال التخلي عن هذه الركائز في دراسة وقائع السيرة النبوية وأحداثها.

موقفه من التحنث (*Worship*)

تحدث وات عن تحنُّث النبي صلى الله علية وسلم وهو في غار حراء فيقول عن ذلك :

"Mohammad was athoughtful persons and was in a habit of making aretreat each year In a cave on Mount Hira, He presumbly meditated on religious matters and on the social problems which increasing wealth was creating in the Meccan community"[16].

وترجمة ذلك: كان محمد رجلاً مفكراً، وكان من عادته في كل سنة الاعتزال في كهف على جبل حراء، وهناك من المحتمل أنه كان يتفكر في المسائل الدينية والمشاكل الاجتماعية، والتي منها زيادة الغنى الذي وجد في المجتمع المكي.

إن من ينظر إلى هذا الكلام يدرك كيف يسعى وات من خلاله إلى التشكيك في المسلَّمات، وإلى طمس الحقيقة وإخفاء الواقع الحقيقي الذي كان عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم لأن في ذلك حصناً للغربيين من عدم التأثر، وهو بعيد كل البعد عن الصورة الإيجابية التي ألزم نفسه بها من أجل تقديمها إلى القاريء الغربي، بل على العكس من ذلك، فإن الواقع الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم يتنافى مع ما ذكره وات، فقد أجمعت المصادر الإسلامية التي عنيت بهذه الواقعة على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يذهب إلى غار حِراء للتحنث وهو العبادة، والتحنث كما فسره الإمام النووي هو التعبد، وأصل الحنث: الإثم، ومعنى يتحنث: يتجنب الحنث [أي الإثم]، وكأنه بعبادته يمنع نفسه من الحنث[أي الإثم] «[17]، كما أن التحنث بمعنى يتحنف، أي: يتبع الحنيفية وهى دين إبراهيم عليه السلام[18]. وبما أن التحنث هو العبادة، فإن العبادة تعني اتصال العبد بربه الذي يعبده ويتقرب إليه، فعندما ادعى وات ما ادعاه سابقاً، إنما يهدف إلى قطع هذا الاتصال بين النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبين ربه، وبالتالي فإن ما يصدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أقوال أو أفعال، إنما هي من ذاته أو من تخيُّله للأمور والأشياء ولا علاقة بينه وبين السماء، لذا فإن ما يدعيه وات إنما هو فرضيات من عقله بنى عليها نظريات سلَّم بصحتها وآمن بها وهذا ما سوف نلاحظه عند الحديث عن حقيقة الوحي جبريل عليه السلام .

16 W, M, W, A Short history of Islam, p.n.12.

17 أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد، دار البيان العربي، د.م، د.ت،ج1،ص261.

18 أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق : سيد بن عباس الجليمي، أيمن بن عارف الدمشقي، دار أبي حيان، ط1، القاهرة، 6141- 6991م، ج1، ص07.

موقفه من الوحي الإلهي (Divine revealation)

إن الوحي الإلهي من الأُسس التي تقوم عليها عقيدة الإنسان المسلم، وهو أمر حق يُقرُّ به ويعترف بحقيقته، «وفهمه واليقين به هما المدخل الذي لا بد منه إلى اليقين بسائر ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم من إخبارات غيبية وأوامر تشريعية»[19]، وفي إنكاره هدم لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ونسف للعقيدة الإسلامية عن بِكرة أبيها، وذلك لأن الأوامر والنواهي والتشريعات الإلهية كانت تتنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق هذا الوحي وهو جبريل عليه السلام، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم إلاّ مطبقاً لها ومبلغاً لنا إيَّاها، ومن أجل ذلك اهتم المستشرقون بدراسته «لعلمهم بأنه منبع يقين المسلمين وإيمانهم بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله سبحانه وتعالى»[20]، فقام بعض منهم بتفسيره تفسيرات منكرة، فمنهم من فسره على أنه حالة من الصرع[21]، ومنهم من وصفه بأنه شبح تجلّى له وهو في غار حِراء[22].

ولا يختلف الحال كثيراً بالنسبة لموقف وات منه، فالمتتبع لدراساته بهذا الخصوص سوف يلاحظ أنها استنتاجات اعتمد عليها لتأكيد فكرته ونظريته التي ذكرها بعد الآية الكريمة ((وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء ...))[23]، ثم قال :

"The messenger mentioned here is the angel Gabriel, for in another verse the worda are adressed to Mohammad: Say, who is enemy to Gabriel? It is who brought down this [revelation] upon your heart confirming what was present"[24] .

وترجمة ذلك: أن الملك المذكور هنا هو جبريل عليه السلام، وفي آية أخرى أن الكلمات ذُكرت لمحمد تقول له: قل من هو عدو لجبريل؟ الذي أنزل هذا [الوحي] على قلبك ليؤكد ما كان موجود.

ثم يستطرد كلامه ويقول:

"Muslim scholars made lists of the manners of revealation and found several besides those mentioned in the verse, though their precise interpretation of details is sometimes different .They held that in Muhammad,s later years the revelation were normally brought by Gabriel. The first revelation, however, as described above, seems to have been no more than the hearing of a voice"[25].

19 محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ط11، دار الفكر، دمشق _ سوريا، 2141-1991م، ص36.

20 محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ص 36.

21 شوقي أبو خليل، أضواء على مواقف المستشرقين و المبشرين، ص78.

22 لوثروب ستودارد الأمريكي، حاضر العالم الإسلامي، وفيه فصول وتعليقات وحواشي بقلم الأمير شكيب أرسلان، تعريب: عجاج نويهض، ط4، دار الفكر، لبنان - بيروت، 4931- 3791م، م1، ج1، ص55.

23) سورة الشورى، 15).

24 W, M, W, A short history of Islam, p.n :15.

25 W, M, W, A Short history of Islam, p.n.15.

وترجمة ذلك: أن علماء المسلمين دَوَّنوا قائمة بكيفيات الوحي ووجدوا بجانب ما ذُكر في الآية السابقة، العديد منها، وبرغم من أن تفسيرهم الصحيح للتفاصيل أحيانا مختلف فيه، إلا أنهم عقدوا القول على أن الوحي الإلهي في سنوات محمد صلى الله عليه وسلم اللاحقة أُحضر طبيعياً بواسطة جبريل عليه السلام، وأن الوحي الأول على كل حال كما وصف فوق يبدو أنه لم يكن أكثر من سماع صوت.

إن سبب نزول آية «قل من كان عدواً لجبريل ...«هو الرد على تخرصات اليهود بشأن الوحي الإلهي، عندما سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن الوحي الذي يأتيه، أهو ميكائيل أم جبريل عليهما السلام؟، فقال الرسول : هو جبريل، فقالوا : عدونا»[26]، فأنزل الله هذه الآية الكريمة رداً عليهم، ومؤكداً على أن جبريل هو الذي أنزل القرآن من أول آية إلى آخر آية على النبي محمد صلى الله عليه وسلم بإذنه ومشيئته، ومصدقاً لما بين يديّ الرسول صلى الله عليه وسلم من التوراة والإنجيل وهدى وبشرى للمؤمنين .

ثم إن قول وات بأن الوحي الذي كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم في العهد المدني هو جبريل عليه السلام، هو كلام صحيح وحق، وأما قوله أن الوحي الأول وهو في غار حراء يتعبد يبدو أنه لم يكن أكثر من سماع صوت، فبرغم تشككه فيه إلاّ أنه أيضاً كلام صحيح وحق، ولكن هذا الصوت لم يكن وحده، بل كان مصحوباً بحظور الملك جبريل عليه السلام يراه الرسول صلى الله عليه وسلم أمامه بأُم عينيه رأي العين وهو يقول له اقرأ، ومما يؤكد ذلك قول السيدة عائشة رضى الله عنها : «...حتى فجئه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : إقرأ، قال : ما أنا بقارئ، قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد»، فقولها (حتى فجئه الحق) أي «جاءه الوحي بغتة لأنه لم يكن متوقعا للوحي»[27] يراه أمامه، ثم أن عملية المفاجئة هذه «تبين أن الوحي ليس أمراً ذاتياً داخلياً مَرَدُّه إلى حديث النفس المجرد، وإنما هي استقبال وتلق لحقيقة خارجية لا علاقة لها بالنفس وداخل الذات »[28]، وأما قوله (فغطني حتى بلغ مني الجَهْدْ ثم أرسلني) ثلاث مرات على التوالي هو تأكيد آخر على رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم للوحي جبريل يراه أمامه بأمه عينيه لأن «الغَطّ : هو الضم والعصر الشديد والكَبس»[29]، وهي عمليه لا تكون إلاَّ بين اثنين مرئيين يرى كل واحد منهما الآخر، عدى عن ذلك، إخبار ورقه بن نوفل للرسول صلى الله عليه وسلم بأن الذي رآه هو الناموس الذي أُنزل على موسى عليه السلام، «والناموس عند أهل اللغة هو صاحب سر الخير ... واتفقوا على أن جبريل عليه السلام يُسَمَّى الناموس، كما اتفقوا على أنه المراد هنا»[30]، ومما يؤكد ذلك أيضاً، قول الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يُحدِّث عن فترة الوحي

26 ط22، مطابع الشروق، بيروت، 4141-4991م، مجلد1، ص39. سيد قطب، في ظلال القرآن،

27 أبو زكريا النووي، شرح صحيح مسلم، ج1، ص161وما بعدها.

28 محمد سعيد البوطي، فقه السيرة النبوية، ص46.

29 محمد بن مكرم الإفريقي المصري ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، د.ت، ج7، ص263.

30 أبو زكريا النووي، شرح صحيح مسلم، ج1، ص561.

حينما قال : «... فبَيْنَ أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحِراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض ...»[31]، فالملك الذي رآه جالسا على كرسي هو جبريل عليه السلام، وهو نفس الملك الذي رآه في غار حِراء وهو يتعبد فيه، ووات يقر بأن الرسول صلى الله عليه وسلم صادق وأمين، فلماذا لا يقر بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم هنا بنزول الملك جبريل عليه في أول مرة وهو في غار حراء ؟؟ .

هذه هي حقيقة الوحي الإلهي، وهكذا ينظر وات إليه وهو يعلم علم اليقين أن الذي رآه الرسول صلى الله عليه وسلم في غار حراء هو الملك جبريل عليه السلام وهو حق ولكن ((فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ)[32] .

ثانياً: موقفه من الهجرة إلى الحبشة والأسباب الكامنة ورائها:

إن أحداث السيرة النبوية ووقائعها هي أفعال وتصرفات قام بها النبي صلى الله عليه وسلم ضمن منهج عملي وتطبيقي مدروس ومخطط له، من أجل تبليغ رسالة الله سبحانه وتعالى إلى الناس كافة، وجعلهم عبيداً له وحده لا شريك له، فكان مما قام به من أجل تحقيق هذه المهمة الموكلة إليه من الله تعالى، أن عمد إلى تأسيس نواة صلبة يُعتمد عليها وتكون قادرة على حمل عبء الدعوة والتضحية من أجلها، إلا أن أعداء الإسلام وقفوا لها بالمرصاد واستخدموا ضدها صنوف العذاب والاضطهاد لاستئصالها والقضاء عليها، أو لإجبارهم على التخلي عن دينهم الجديد، وهم في ذلك لا حول لهم ولا قوة، خصوصاً وأن أعدادهم قليلة ولا تسمح لهم بمواجهة عدوهم اللدود من مشركي قريش، ثم لإنهم وفي هذا الوقت قد نهوا عن استخدامها وأمروا أن يكفوا أيديهم ويُعرضوا عن المشركين لقوله تعالى» ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة....»[33]، ولقوله تعالى «فأعرض عن المشركين»[34].

ولما كانت الحال هكذا، كان لا بد من إيجاد حل لهذه المحنة، وبما أن المسؤولية الكبرى تقع على عاتق النبي صلى الله عليه وسلم، فقد أمرهم بالهجرة إلى الحبشة حتى يُبقي على هذه الفئة المؤمنة من الفناء، وللفرار بدينهم وعقيدتهم إلى أرض يأمنون بها على أنفسهم من الظلم والاضطهاد، وليحافظ على استمرارية الدعوة إلى الله تعالى لأن بفنائها تفنى الدعوة، وقد أوردت العديد من المصادر الإسلامية هذه الواقعة، وتحدث وات عنها، وكان له موقف منها، فهو منذ البداية يعتبر أن المعارضة التي ظهرت ضد الدين الجديد في مكة هي كرد فعل طبيعي نتيجة لهجوم القرآن على بعض اتجاهات ومواقف تجار مكة الأثرياء، فما كان منهم إلا أن قاموا برد فعل لهذا الهجوم القرآني عليهم، فلجأوا إلى جعل حياة من انضم إلى محمد صلى الله عليه وسلم، ومن أسلم معه ممن هم من نفس قبائلهم، حياة لا تطاق

31 المصدر نفسه، ج1، ص761.

32 (يونس، 23).

33 (النساء، 77).

34 (الأنعام، 601).

فيقول عن ذلك: "Because of the Quran attacked some of the attitudes of the wealthy merchants opposition to the new religion soon appeared among them, ...one outward expression of this opposition was that some of the wealthiest men made life difficult for junior members of their own clans who had joined Muhammad"[35].

ويستطرد وات كلامه بأن أحد أسباب الهجرة إلى الحبشة هو من أجل تجنب الاضطهاد والظلم الذي وقع على من هاجر من المسلمين الأوائل من قبل أغنياء التجار في مكة، فيقول:

"It seems clear that one of the reasons for the emigration was to avoid persecution"[36].

وهو سبب وجيه وفي مكانه، إلا أنه يضيف أسباباً أخرى دفعت بهؤلاء المسلمون الأوائل للهجرة إلى الحبشة منها كما يقول:

"There are other reasons for the emigration. One such would be to engage in trade "[37].

وترجمة قوله: أن هناك أسباباً أخرى للهجرة، منها من أجل العمل في التجارة، وهذا كلام غير صحيح وخطير، فهو يرمي إلى إفراغ هجرة المسلمين الأوائل إلى الحبشة من مضمونها العقدي والديني، وأن الأسباب الكامنة وراء الهجرة أسباباً اقتصادية بالدرجة الأولى، وهذا خلاف واقع الروايات التاريخية التي تناولت هذه الحادثة، فالمعروف أن هجرة المسلمين الأوائل للحبشة كانت إستجابة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم وطاعة له، فهو الذي أمرهم بذلك وقال لهم «لو خرجتم إلى الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد»[38]، فما كان منهم إلا أن هاجروا بدينهم وعقيدتهم لله تعالى، ولم يكن همُّهم الدنيا ولا نعيمها، وكانت غاية النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك واضحة ،وهي كما قالت أم سلمة رضي الله عنها «... لما أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج إلى الحبشة، ورأى ما يصيبنا من البلاء ، قال لنا (إلحقوا بأرض الحبشة، فإن عندها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، فأقيموا ببلاده حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه)، فقدمنا عليه فاطمئننا في بلاده»[39]، وفي رواية أخرى تقول رضي الله عنها «فلما نزلنا أرض الحبشة جاورنا فيها خير جار النجاشي، أمِنَّا على ديننا، وعبدنا الله تعالى، لا نؤذى ولا نسمع ما نكره...»[40]،

35 W, M, W, A Short history of Islam, p.n.20.
36 W, M, W, A Short history of Islam, p.n.23.
37 W, M, W, A Short history of Islam, p.n.23.
38 إبن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، حققه: عمر تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 0141 – 0991م، ص943. وينظر: العسقلاني، إبن حجر، ترقيم ابوابه: محمد عبد الباقي، أخرجه : محب الدين الخطيب، دار الريان، 7041- 6891م، باب هجرة الحبشة، ص722.
39 الذهبي، شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، حققه: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، الشام – طرابلس، 6041 -6891م، ج2، ص481.
40 إبن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، ص063، وينظر: المطلبي، محمد بن إسحاق، كتاب السير والمغازي، تحقيق، سهيل زكار، ط1، دار الفكر، د.م، 8931 – 8791م، ص312.

فالأمن والطمأنينة هما اللذان كان يبحث عنهما النبي صلى الله عليه وسلم للفئة التي آمنت به وصدَّقته بما جاء به من عند الله تعالى، ثم حتى وإن سلَّمنا جدلاً بأن العمل بالتجارة كان أحد أسباب الهجرة، فلماذا أرسلت قريش رجلين من أعظم دهاتها لإرجاع من هاجر من المسلمين إلى مكة، أوليس هو الصراع العقدي بين مشركي مكة وبين من آمن بالله رباً وبمحمد نبياً ورسولاً؟، ثم إن الروايات التاريخية لم تُشر إلى أن العامل الاقتصادي كان أحد الأسباب الكامنة وراء الهجرة إلى الحبشة.وإن كان ورد فلماذا لم يرجعنا وات إليها لنتأكد من صحته.

إن المتأمِّل في الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة يجد أنهم من قبائل متنوعة وأحياء مختلفة فيجد عثمان بن عفان وزوجته وجعفر بن أبي طالب من قبيلة قريش، ويجد عبد الرحمن بن عوف من بني زهرة، والزبير بن العوام من بني أسد، ومصعب بن عمير من بني عبد الدار، وعثمان بن مظعون من بني جمح، وهذا التنوع والاختلاف إن دل على شيء فإنما يدل على حنكة النبي صلى الله عليه وسلم السياسية، والذي أراد من هذا التنوع ضرب لُحْمة قريش القبلية، وإظهار أن الإسلام لا يقتصر على قبيلة دون الأخرى.

ثم إن وات لم يقف عند الاضطهاد والعامل الاقتصادي كأسباب للهجرة، بل يضيف بأنه من الممكن أيضاً، أن النبي صلى الله عليه وسلم قد شجع المهاجرين على الهجرة لأسباب أخرى لا يملك هو نفسه إلا أن يُخمنها فقط[41]، ولكنه لم يشر إليها ولم يذكر لنا سبباً آخر غيرهما. وبالتالي فهو يعتمد على تخمينات واستنتاجات بعيدة عن الواقع التاريخي، آمن بها هو وسلم بصحتها ثم قدمها على أساس أنها وقائع تاريخية حقيقية، وهذا يتنافى وصفات المؤرخ المنصف، فالذي يريد أن يكتب حدثاً تاريخياً ما، يجب عليه أن يذكره كما هو دون زيادة أو نقصان، ثم بعد ذلك يضع حكمه عليه، أما أن يجعل استنتاجاته وتخميناته هي الواقع، فهذا تلاعب وتضليل للواقع. وهذا ما فعله وات هنا، فقد جعل تخميناته هي الواقع التاريخي وقدمها إلى القاريء الغربي على أساس أنها هي الواقع التاريخي، وبذلك فهو يسعى إلى طمس الحقيقة وإخفاء معالمها حتى لا يتأثر أبناء جنسه بالإسلام وعقيدته وفكره.

ثالثاً: موقفه من غزوة بني قينقاع:

تحدث وات عن غزوة يهود بني قينقاع باقتضاب شديد، أوحى فيه للقاريء بأنهم مظلومين ومقهورين، وأن السبب الذي دفع بالنبي صلى الله عليه وسلم لطردهم من المدينة المنورة سبب تافه وحقير حسب قوله، إلا أنه لم يُشر إليه ولم يتحدث عنه، وأن الذي ذكره أنه في عام 624م من شهر إبريل، حدث نزاع تافه وحقير بين مجموعة من المسلمين واليهود من قبيلة بني قينقاع، حيث أصبح هذا الحادث السبب الرئيسي في طردهم من المدينة المنورة، فيقول عن ذلك :

"About April 624 a petty quarrel between a group of Muslims and Jews of the clan of Qaynuqa became the ground for the expulsion of that clan from Medina"[42].

41 W, M, W, A Short history of Islam, p.n.23.
42 W, M, W, A Short history of Islam, p.n.32.

ومن أجل إحقاق الحق وبيان السبب الرئيسي في طرد قبيلة بني قينقاع اليهودية، لا بد لنا من استعراض الروايات التاريخية التي تناولت هذا الحدث، فقد ذكر ابن هشام «أنه عندما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة، كتب وثيقة بين أهلها، ووادعته اليهود وعاهدهم وشرط لهم واشترط عليهم، وأمنهم على دينهم وأموالهم، وكان مما وادعهم به أنه من تبعنا من يهود فإن له النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم... وأن لهم دينهم وللمسلمين دينهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ» يهلك «إلا نفسه وأهل بيته، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصحية والبر والإثم»[43] .

وأورد إبن هشام والبلاذري والإمام أبي داوود رواية مفادها أنه «لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً يوم بدر وقدم المدينة سالماً غانماً موفوراً، بغت اليهود وقطعت العهد، فجمعهم النبي صلى الله عليه وسلم في سوق بني قينقاع فقال لهم : يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً، قالوا: يا محمد لا يغرَّنَّك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا غماراً لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا، فينما هم على بغيهم ومجاهرتهم بكفرهم أنزل الله فيهم قرآنا يتلى إلى يوم القيامة»[44].

فهذه الروايات تظهر لنا حرص النبي صلى الله عليه وسلم على إرساء دعائم الأمن والاستقرار في المدينة المنورة، وتظهر لنا حرصه صلى الله عليه وسلم على تحديد ما لليهود من حقوق وما عليهم من واجبات، على اعتبار أنهم جزء من كيان المجتمع، كما وتدل هذه الموادعة على حرصه أيضاً على إشراك اليهود في بناء المجتمع. إلا أن اليهود قوم غدر وبهت، تأبى طبيعتهم المجبولة على الغدر والخيانة إلا نقض العهود ونبذ العقود، وهي طبيعة لا تحفظ عهداً ولا تُراعي ميثاقاً، فهم «كانوا أول يهود نقضوا عهدهم ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحاربوه فيما بين بدر وأحد»[45]، وهم كما أخبر عنهم الله سبحانه وتعالى «أَوَكلما عاهدوا عهداً نبذه فريقاً منهم»[46].ويتبين ذلك واضحاً في سلوكهم وردهم على النبي صلى الله عليه وسلم عندما جمعهم ودعاهم إلى الله تعالى، وحذرهم من مغبة التمادي ونقض العهود والمواثيق، إلا أن دعوته لم تلق آذاناً صاغية عندهم، بل على العكس أجابوه إجابة استعلاء واستفزاز، وجاهروا بعداوتهم له، وقالوا له «يا محمد لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تَلقَ مثلنا»[47] ،

43 إبن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: السقا وآخرون، ط2، مطبعة مصطفى الباني، مصر، 5731 – 5591م، ج3+4، ص105 وما بعدها.

44 البلاذري، أحمد بن يحيى، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار و رياض الزركلي، ط1، دار الفكر، بيروت – لبنان، ص173. وينظر: أبي داوود، السجستاني، السنن، اعتنى به فريق بيت الأفكار الدولية، حديث رقم 1003، كتاب الخراج، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة، ج1، ص043.

45 الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل،ط2، دار المعارف، مصر، ص974.

46 (البقرة، 001).

47 إبن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية،ج3، ص9.وينظر: الواقدي، محمد بن عمر، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس،

ولا يخفى ما في هذا الرد من عنجهيَّة وغطرسة وتهديداً للنبي صلى الله عليه وسلم، ويؤكد على ذلك المستشرق ولفنستون بقوله» أنهم أجابوه بكل جرأة وتبجح، وأنهم أعلنوا الحرب ضده معتمدين في ذلك على معاضدة حلفائهم من الخزرج في نزاعهم مع الرسول قبل كل شيء»[48].

وبعد كل هذا يأتي وات ويرى أن سبب جلائهم عن المدينة سبب تافه وحقير، فهذا أمر غير مقبول ويُستهجن منه، وهو كلام يُستغرب أن يتكلم به مستشرقاً مثل وات، له مكانة مرموقة ورفيعة في الأوساط الأكاديمية والعلمية على السواء، لإن ما قام به النبي صلى الله عليه وسلم من جلائهم إنما هي سياسة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، فكل من يخون الله تعالى ويخون رسوله صلى الله عليه وسلم يَلقى نفس المصير، وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع قريش عندما نقضت عهدها معه فأرسل لهم جيشاً كان سبباً في فتح مكة وإعلاء كلمة التوحيد فيها.

ثم إن أمر بني قينقاع لم يقتصر على الكلام وإعلان الحرب والعنجهية والتهديد، بل تعدى الأمر إلى إظهار روح عدائِيَّة، والاعتداء على أعراض المسلمين وحرماتهم، مما أدى إلى الاخلال بالأمن داخل المدينة المنورة، فقد وردت رواية تشير إلى «أن أحدهم عقد طرف ثوب امرأة مسلمة في سوق بني قينقاع، فلما قامت انكشفت عورتها وصاحت، فقام أحد المسلمين فقتل اليهودي وتواثب اليهود فقتلوا المسلم، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهودي فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع»[49]. وهذا هو السبب الذي يقصده وات، ولكنه لم يذكره ولم يوضحه، وإنما اكتفى بِوصْفه له بقوله «A petty quarrel» أي «نزاع تافه وحقير»، وهذا الوصف إنما حكمه على الواقعة وليست الواقعة نفسها، وشتان بين الواقعة نفسها ووصف الواقعة، وهذه المنهجية في الحكم على الوقائع والاحداث على أساس أنها هي الوقائع والأحداث تُبعد المؤرخ عن الانصاف والموضوعية، لأن الأصل ذكر الحادثة كما هي دون زيادة أو نقصان ثم بعد ذلك إصدار الحكم عليها، الا أن وات عمد إلى وصف الحادثة دون ذكرها، وهذا موقف يُتعجَّب منه، الا أن هذا التعجب سرعان ما يزول إذا ما علمنا أن هذه هي منهجية وات في كتابة أحداث السيرة النبوية ووقائعها، وهي منهجية تقوم على تشويه أفعال النبي صلى الله عليه وسلم والحط من قدرها والانتقاص من قيمتها، مقابل الدفاع عن اليهود واظهارهم بمظهر المظلومين والمعتدى عليهم.

رابعاً: موقفه من سبب نزول سورة المسد:

يرى وات أن سبب نزول سورة المسد نتيجة لقيام أبو لهب برفع الحصانة والحماية عن النبي صلى الله علية وسلم، ورفض نصرته له والدفاع عنه حتى يتوقف عن نشر دعوته وتعاليمه، وأن هذا التصرف

ط3، عالم الكتب، 4041- 3891م، ج1، ص671-771

48 ولفستون، إسرائيل، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة الاعتماد، مصر، 5431- 7391م، ص921-031.

49 إبن هشام، السيرة النبوية، ج3+4، ص84. وينظر: السهيلي، أبو القاسم الخثعمي، الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لإين هشام، ضبطه: طه عبد الرؤوف سعد، مؤسسة نبع الفكر، 2791م، ج3، ص731.

من أبي لهب نتيجة للضغط الذي تعرَّض له من قبل بعض تجار مكة والذين هم أعداء محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا بلا شك – كما يقول وات – هو السبب وراء الهجوم المر على أبي لهب المذكور في سورة المسد في القرآن الكريم. فيقول عن ذلك:

"Abu-Talib had also supported Muhammad by maintaining clan protection, but his brother Abu-Lahab, who succeeded him, had done well as a merchant and had business assiciations with some of the very wealthy men hostile to Muhammad. Under pressure from them, he seems to have decided to withdraw clan protection. This is doubtless the reason for the bitter attack on Abu- Lahab in Sura 111 of the Quran"[50].

وهذا كلام يتنافى مع الحادثة الحقيقية التي كانت سبباً في نزول سورة المسد، وهو مجرد استقراء واستنتاج محظ، يعتمد فيه وات على تحليله للواقعة التاريخية دون أن يورد ما يؤكد صحة كلامه واستنتاجه، فالروايات التاريخية التي تحدثت عن هذه الحادثة تخالف تماماً ما يدعية وات من سبب، فقد أوردت معظم كتب التاريخ والتفسير رواية أجمعوا على صحتها مفادها حديث الصحابي الجليل عبدالله بن عباس «أن النبي صلى الله علية وسلم خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى: «يا صباحاه»، فاجتمعت إليه قريش فقال: أرأيتم إن حدَّثتكم أن العدو مصبِّحكم أم ممسِّيكم أكنتم تصدِّقوني؟ قالوا: نعم، قال: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تباً لك فأنزل الله «تبت يدا أبي لهب وتبَّ» إلى آخرها، وفي رواية أخرى، فقام ينفض يديه وهو يقول: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله «تبت يدا أبي لهب وتبَّ»[51]، وأورد الإمام الطبري في تفسيره رواية يستأنس بها بهذا الخصوص، وهي قول أبو لهب للنبي صلى الله عليه وسلم : ماذا أعطى يا محمد إن آمنت بك ؟ قال ؟ «كما يعطى المسلمون» ، فقال : مالي عليهم فضل ؟ قال : «وأي شيء تبتغي ؟ «قال : تباً لهذا من دين تباً، أن أكون أنا وهؤلاء سواء، فأنزل الله تعالى «تبت يدا أبي لهب وتب»[52]. وهذا هو السبب المباشر في نزول سورة المسد في أبي لهب وامرأته أم جميل.

ثم إن ادعاء وات رفض أبو لهب حماية النبي صلى الله عليه وسلم ونصرته ليس في مكانه، لإن الله سبحانه وتعالى قد تكفَّل بحماية نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته وحفظه من أي أذى يصدر من الناس ضده، فيقول سبحانه: «... والله يعصمك من الناس...»[53]، وقوله تعالى «إنَّا كفيناك المستهزئين»[54]، فسواء رفض أبو لهب

50 Watt, william montogomry, A short history of islam, p.n:23-24.

51 إبن كثير، عماد الدين، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، ط1، مصر، 7141- 7991م، ج4، ص79-89، وينظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، حققه: محمود شاكر، دار المعارف، مصر، ج42، 276-376. وينظر: إبن كثير، أبي الفدا إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، 2241- 2002م، ج8، ص415، وينظر: القرطبي، أبي عبدالله الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، مجلد1، ج02، ص902.

52 الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج42، ص276-376.

53 وتمام الآيه هو «ياأيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين»، (القرآن الكريم، سورة المائدة، آية 76).

54 (سورة الحجر،59).

وعشيرته نصرة النبي صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه أو لم يفعلوا فلن يضرُّه شيئاً لحفظ الله سبحانه له. ثم إن تخلي أبو لهب عن نصرة إبن أخيه وهو في حاجة إليه، ليدل على مدى البغض والحقد والكره الذي يكنُّه أبو لهب للنبي صلى الله عليه وسلم، فمنذ أن أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالجهر بالدعوة، ودعوة الناس علناً لدين الله سبحانه، بقوله «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين»[55] ، وأبو لهب له بالمرصاد، ومما يدلل على ذلك، عندما جمع النبي صلى الله عليه وسلم عشيرته بعد أن صنع لهم طعاماً، فهم النبي صلى الله عليه وسلم بدعوتهم إلى الله، تكلَّم أبو لهب قبله وقال: «لهذَّما سحركم صاحبكم، فتفرقوا ولم يكلّمهم، ثم جمعهم في اليوم التالي ودعاهم وقال لهم : «يا بني عبد المطلب إني قد جئتكم بأمر الدنيا والأخرة»[56]، ثم إن أمر أبي لهب لم يقف عند هذا الحد، بل عندما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل العربية يدعوهم إلى الله تعالى، كان أبو لهب بعد أن يفرغ النبي صلى الله عليه وسلم من دعوته يقول لهم «يا بني فلان، إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه»[57]، ولم يكتفي ابو لهب بالكلام والتحريض على النبي صلى الله عليه وسلم بل حاربه ودعى قومه لمحاربته، وبقي كذلك حتى قتل في معركة بدر في السنة الثانية للهجرة.

الخلاصة:

خلاصة القول: إن مونتغمري وات لم يلتزم بالمبدأ العلمي في سرد الوقائع بشكلها الصحيح كما أجمع عليها المؤرخون، وإنما سارع إلى افتراض أحداث من نسج خياله ليسهل عليه مناقشتها والحصول على أعلى درجة من تشويه للصورة النصعة التي كانت تحيط بالإسلام. كما أنه قد أخل بالمبدأ الأساسي للشفافية وعدم الحياد في إصدار أحكامه حيث نرى أنه لم ينصف أي حادثة قد مر عليها، بل على العكس وجه سهامه كلها لنقدها والتقليل من رفعتها، أو للتهويل والتخويف من ردة فعل المسلمين عليها وكقوله (سبب تافه) ليصور للقارئ أن المسلمين كانوا عصابة تبطش في الناس وحسب. وهذا أمر مستهجن على العلماء أن يكونوا منحازين أو غير منصفين، إلا أن هذا في حق وات لا يعدو أن يكون إظهارا لمكامن نفس لا تتحلى بالصدق في نقل التاريخ والوقائع ولا تتحلى بالمصداقية في ذكر الأحداث وتسلسلها، كما وأنها منحازة وغير شفافة في تحليل جميع الوقائع التي قد درستها، ومن هنا فإن وات مستشرق منحاز بكليته إلى تحقيق ما يريده الباطل من تشويه لصورة الإسلام.

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

55 (سورة الحجر، 59).

56 الذهبي، شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (السيرة النبوية)، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، الشام، 6041- 6891م، ص541. ،وينظر: إبن إسحاق، محمد ، السيرة النبوية، ج1+2، ص881.

57 إبن هشام، السيرة النبوية، ج1+2، ص424.

المصادر والمراجع:

- كاستري، هنري دي، الاسلام خواطر وسوانح، ترجمة احمد زغلول، قدم له: محمود النجيري، دار طيبة، الجيزة، ط١، 2008م.
- علي بن إبراهيم النملة، بحث في كنه الاستشراق : مناقشات في التعريف والنشأة والدوافع، دراسات إستشراقية وحضارية، تأليف : مجموعة من العلماء، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية الدعوة، مطابع جامعة الإمام محمد،ع1، المدينة المنورة، 1413- 1993م.
- على عبد الحليم محمود ، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ط1، مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية، مصر، 1414 – 1993م.
- المطعي، عبد العظيم إبراهيم ، أوروبا في مواجهة الإسلام (الوسائل _ الأهداف)، القاهرة ، ط1، 1413_1993م.
- بدوي ،عبد الرحمن ، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت _ لبنان، ط3، 1993م.
- العقيقي، نجيب، المستشرقون، القاهرة _ مصر، ط3، 1964م، ج1.
- أبو خليل شوقي، أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، طرابلس _ ليبيا، ط2، 1428 _ 1999م.
- مجموعة من المؤلفين : مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، بحث لعماد الدين خليل، بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتغمري وات، مطبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض، ط1، 1405-1985 م.
- محمد بن صايل السُلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي مع دراسة لتطور التدوين ومناهج المؤرخين حتى القرن 13هجري، دار الرسالة العلمية، مكة المكرمة، ط2، 1418-1998م.
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد، دار البيان العربي، د.م، د.ت،ج1.
- العسقلاني، إبن حجر أبو الفضل أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق : سيد بن عباس الجليمي، أيمن بن عارف الدمشقي، دار أبي حيان، القاهرة، ط1، 1416- 1996م، ج1.
- البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، دار الفكر، دمشق _ سوريا، ط11، 1412-1991م.
- لوثروب ستودارد الأمريكي، حاضر العالم الإسلامي، وفيه فصول وتعليقات وحواشي بقلم الأمير شكيب أرسلان، تعريب: عجاج نويهض، دار الفكر، لبنان - بيروت، ط4، 1394- 1973م، م1، ج1.
- قطب، سيد، في ظلال القرآن، مطابع الشروق، بيروت، ط22، 1414-1994م، مجلد1.
- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، د.ت، ج7.
- إبن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، حققه: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1410 – 1990م.
- العسقلاني، إبن حجر، ترقيم ابوابه: محمد عبد الباقي، أخرجه : محب الدين الخطيب، دار الريان،

1407- 1986م، باب هجرة الحبشة.

. الذهبي، شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، حققه: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، الشام – طرابلس، 1406 -1986م، ج2.

. إبن عبد ربه، شهاب الدين أبو عمر، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404ه، ج2.

. إبن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، ص360، وينظر: المطلبي، محمد بن إسحاق، كتاب السير والمغازي، تحقيق، سهيل زكار، دار الفكر، ط1، د.م، 1398 – 1978م.

. إبن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: السقا وآخرون، ط2، مطبعة مصطفى الباني، مصر، 1375 – 1955م، ج3+4.

. البلاذري، أحمد بن يحيى، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار و رياض الزركلي، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط1.

. أبي داوود، السجستاني، السنن، اعتنى به فريق بيت الأفكار الدولية، حديث رقم 3001، كتاب الخراج، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة، ج1.

. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعارف، مصر، ط2.

. الواقدي، محمد بن عمر، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، ط3، 1404- 1983م.

. ولفستون، إسرائيل، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة الاعتماد، مصر، 1345- 1937م.

. السهيلي، أبو القاسم الخثعمي، الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لإبن هشام، ضبطه: طه عبد الرؤوف سعد، مؤسسة نبع الفكر، 1972م، ج3.

. إبن كثير، عماد الدين، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، مصر، ط1، 1417- 1997م، ج4.

. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأوبل آي القرآن، حققه: محمود شاكر، دار المعارف، مصر، ج24. وينظر:

. إبن كثير، أبي الفدا إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، 1422- 2002م، ج8.

. القرطبي، أبي عبدالله الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، مجلد1، ج20.

. الذهبي، شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (السيرة النبوية)، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، الشام، 1406- 1986م.

. Watt, william montgomery, A short history of Islam, oneworld Publications, 1996.